

الدرس السابع والعشرون

المعجزة

- طرق اثبات النبوة.
- تعريف المعجزة.
- الأمور الخارقة للعادة.
- خوارق العادة الإلهية.
- ميزة معجزات الأنبياء.

طرق اثبات النبوة

المسألة الأساس الثالثة في فصل النبوة هي كيفية ثبوت صدق دعوى الأنبياء الحقيقيين - لدى الناس - وكذب المدّعين الكاذبين .

لا شك في أن الشخص الضالّ والمرتكب للمعاصي التي يدرك العقل قبحها لا يمكن الاعتماد عليه، والثقة به وتصديقه، ويمكن بذلك إثبات كذبه في ادعائه النبوة، فيما لو اشترطنا العصمة في الأنبياء وخاصة اذا كان يدعو إلى أمور مخالفة للعقل والفطرة الانسانية، او وُجد تناقض في اقواله وأحاديثه، هذا من ناحية .

ومن ناحية أخرى، ربّما تكون الحياة السابقة النظيفه للنبي، وسيرته الحسنة، باعثة على حصول الاطمئنان بصدقه عند الأفراد المنصفين، وخاصة اذا شهد العقل بصحة محتويات دعوته، وكذلك من الممكن أن تثبت نبوة شخص بتبشير نبي آخر، وإخباره عنه، وتعريفه به بحيث لا يبقى أي شك أو ترديد للباحثين عن الحقيقة بأنه نبي .

ولكن . لو لم تتوفّر بين الناس الدلائل والمؤشّرات المؤدية الى الاطمئنان، ولم تصل إليهم بشارة نبي آخر، فهنا تفرض الحاجة وجود طريق آخر لاثبات النبوة، وقد جعل الله تعالى لحكمته البالغة هذا الطريق، وجهّز الأنبياء بمعاجز هي علامات وآيات على صدق دعواهم، ومن هنا سُمّيت بـ (الآيات)^(١).

(١) لقد استخدمت لفظة (الآيات) في موارد أخرى، منها علامات العلم والقدرة والحكمة الإلهية في ظواهر الوجود سواء كانت عادية أو غير عادية .

والحاصل: انه يمكن إثبات صدق الأنبياء الحقيقيين في دعواهم، من خلال ثلاث طرق:

١ - من طريق الدلائل والمؤشرات المؤدية الى الاطمئنان، أمثال الصدق والأمانة والاستقامة وعدم الانحراف عن مسير الحق والعدالة طوال حياتهم. وهذا الطريق لا يتحقق إلا في الأنبياء الذين عاشوا سنوات طويلة بين الناس، وكانت سيرتهم معروفة عندهم. أما النبي الذي بُعث بالرسالة في بدايات شبابه، وقبل أن يتعرف الناس على شخصيته وسيرته، فلا يمكن التعرف على صحة دعواه وصدقه من طريق هذه المؤشرات والدلائل.

٢ - أن يعرفه ويشر به نبي سابق أو معاصر، ويختص هذا الطريق في الناس الذين عرفوا نبياً آخر، وأطلعوا على بشارته ودعمه وتأييده، وبطبيعة الحال لا مجال لمثل هذا الطريق في النبي الأول.

٣ - عن طريق إظهار المعجزة التي يمكن ان يكون أثرها أكثر اتساعاً وشمولية، ومن هنا نحاول البحث حول هذا الطريق.

تعريف المعجزة

المعجزة عبارة عن الأمر الخارق للعادة، يأتي بها مدعي النبوة بإرادة الله، وتكون دليلاً على صدق دعواه.

والملاحظ في هذا التعريف أنه يشتمل على عناصر ثلاثة:

أ - وجود بعض الظواهر الخارقة للعادة، والتي لا يمكن أن توجد من خلال الأسباب والعلل العادية.

ب - ظهور بعض هذه الأمور الخارقة للعادة، من الأنبياء بالإرادة الالهية، وبإذن خاص من الله تعالى.

ج - إن مثل هذا الأمر الخارق للعادة، يمكن أن يكون دليلاً على صدق دعوى النبي، وفي هذه الحالة يُصطلح عليه بـ (المعجزة).

والآن نحاول توضيح هذه العناصر الثلاثة التي تضمّنها التعريف:

الأمور الخارقة للعادة

إنَّ الظواهر الكونيَّة إنما توجد - غالباً - نتيجة أسباب وعلل يمكن التعرف عليها من خلال التجارب المختلفة، أمثال أكثر الظواهر الفيزيائية والكيميائية والبيولوجية والنفسية. ولكنَّ هناك حالات نادرة تتحقَّق فيها هذه الظواهر بصورة أخرى، حيث لا يمكن التعرف على أسبابها وعللها من خلال التجارب الحسية. وهناك بعض الشواهد تدلُّ على وجود عوامل من نوع آخر أثَّرت في تكوين هذه الظواهر، كالأعمال الغريبة والمدهشة التي يقوم بها المرتاضون، ويشهد المتخصِّصون في مختلف العلوم بأنَّ مثل هذه الأعمال لا تتمُّ وفق قوانين العلوم التجريبية، ويُطلق على مثل هذه الأعمال بـ (الأعمال الخارقة للعادة).

خوارق العادة الالهية

يمكن تقسيم الاعمال الخارقة للعادة الى قسمين:

الأوَّل: الاعمال التي لا تكون أسبابها وعللها عادية، ولكنَّ اسبابها غير العادية في مقدور البشر وتحت اختيارهم، ويمكن التوصل إليها من خلال بعض التدريبات والتعليمات الخاصة، أمثال المرتاضين.

الثاني: الأعمال الخارقة للعادة والتي لا تتمُّ إلا بإذن الهيِّ خاصٍّ، ولا تكون في متناول أولئك الأفراد الذين لا علاقة لهم بالله تعالى، ومن هنا فلها ميزتان:

احدهما: أنَّها غير قابلة للتعليم والتعلُّم.

والأخرى: أنَّها لا يمكن أن تتسنى لقوَّة أخرى أرقى منها، ولا يمكن لأيِّ عامل آخر أن يقهرها.

ومثل هذه الخوارق مختصة بعباد الله المصطفين والمستجيبين، ولا يمكن أن تكون في متناول أيدي الضالِّين والعاشين، ولكنَّها لا تختصُّ بالأنبياء، بل ربَّما زوَّد بها بعض أولياء الله، ولذلك لا يُصطلح عليها كلُّها في علم الكلام بـ (المعجزة)، والمعروف أن يُطلق على مثل هذه الأعمال في حالة صدورها

من غير الأنبياء (الكرامة)، كما ان العلوم الالهية غير العادية لا تختصُّ بوحى النبوة، وحين يزود بعضهم بمثل هذه العلوم؛ يُطلق عليها (الالهام) أو (التحديث).

ومن خلال ذلك تعرّفنا على الطريق لمعرفة هذين النوعين من خوارق العادات (الإلهية، وغير الإلهية)، فاذا كان الاتيان بالخارق للعادة قابلاً للتعليم أو التعلم، أو يمكن لعامل آخر منع حدوثه أو استمراره، أو ابطال تأثيره، فلا يكون هذا العمل من قبيل خارق العادة الإلهي، ويمكن أن يُعتبر ضلال فرد وفساد معتقداته وأخلاقه مؤشراً آخر على عدم ارتباطه بالله تعالى، وعلى كون أعماله شيطانية أو نفسانية.

وتجدر الإشارة هنا الى ملاحظة أخرى وهي أنه: نعتبر الله هو الفاعل لهذه الاعمال الخارقة للعادة (بالإضافة لفاعليته بالنسبة لكل المخلوقات ومنها الظواهر العادية)، وذلك بملاحظة إناطتها بإذن خاصّ منه تعالى^(١) ويمكن أيضاً أن ننسبها الى الوسائط - أمثال الملائكة والأنبياء - بملاحظة دورهم فيها كوسطاء أو فاعلين قرييين، كما نسب القرآن الكريم لعيسى (ع) إحياء الموتى، وشفاء المرضى، وخلق الطير^(٢). ولا تعارض بين هاتين النسبتين، لأنّ الفاعلية الالهية في طول فاعلية العباد.

ميزة معجزات الأنبياء

العنصر الثالث في تعريف المعجزة؛ أن معجزات الأنبياء آية ودليل على صدق دعواهم، ومن هنا إنمّا يُطلق في علم الكلام مصطلح (المعجزة) على الأمر الخارق للعادة حين يصدر دليلاً على نبوة النبي، إضافة الى استناده الى الإذن الإلهي الخاصّ، وبقليل من التعميم والتوسّع في مفهومه يصبح شاملاً الأمور الخارقة للعادة - أيضاً - والتي تصدر دليلاً على صدق دعوى الإمامة،

(١) الرعد/٢٧، وغافر/٧٨.

(٢) آل عمران/٤٩، والمائدة/١١٠.

ولذلك يختص مصطلح (الكرامة) بسائر الخوارق الإلهية للعادة، والتي تصدر من أولياء الله، مقابل خوارق العادات التي تستند الى القوى الشيطانية والفسانية، أمثال: السحر، والكهانة، وأعمال المرتاضين. ومثل هذه الأعمال كما أنها قابلة للتعليم والتعلم، كذلك يمكن قهرها بقوة أرقى منها، والغالب أنه يمكن أن تثبت عدم انتسابها الى الله من طريق سوء أخلاق أصحابها وفساد معتقداتهم.

والملاحظة التي يلزم التوجه إليها هنا هي أن معجزات الأنبياء إنما تثبت بصورة مباشرة - صدقهم في دعوى النبوة، أما صحة محتوى الرسالة ولزوم الاطاعة للتعاليم والأوامر التي يبلغونها، فإنها تثبت بصورة غير مباشرة، وبتعبير آخر: تثبت نبوة الأنبياء (ع) بالدليل العقلي، أما محتويات رسالاتهم فتثبت بالدليل التعبدي^(١).

(١) يلاحظ الدرس الرابع في الجزء الأول، والدرس الحادي والعشرون في الجزء الحاضر من هذا الكتاب.

الأسئلة :

- ١ - ما هي الطرق التي يمكن التعرف من خلالها على الأنبياء الحقيقيين؟ وما هو الفرق بين هذه الطرق؟
- ٢ - ما هي الأدلة على كذب المدّعين الكاذبين؟
- ٣ - عرّف المعجزة.
- ٤ - ما هي الأمور الخارقة للعادة؟
- ٥ - ما هو الفرق بين الخارق الإلهي للعادة، والخارق غير الإلهي؟
- ٦ - ما هي الطرق للتعرف على الخارق الإلهي للعادة؟
- ٧ - ما هي الميزة التي تتميز بها معجزات الأنبياء عن سائر الخوارق الإلهية للعادة؟
- ٨ - وضّح مصطلحي المعجزة والكرامة.
- ٩ - هل إنّ المعجزة عمل مستند الى الله أم الى النبي؟
- ١٠ - هل إنّ المعجزة دليل على صدق النبي، أم على صحّة محتوى الرسالة؟